# روبرت فروست – أمير الشعر الأمريكي

**صلاح محاجنة**

**توطئة:**

بلغ الأدب الأمريكي "سن الرشد" في عامي 1910 و 1920 وقد يكون بالامكان تعيين سنة 1912 أو 1916 كاللحظة الفعلية التي وصل فيها طور النضوج, إذ أن في هذه أو تلك جرت أحداث يمكن اتخاذها رمزاً لطرح قوالب التاسع عشر وأفكاره وعاداته جانباً فقد حصلت مفاجأة عجيبة في الثورة الثقافية تمثلت في تدفق الشعر والنثر التجريبيين ومولد حركة تقدمية تعي ذاتها وكان الزمن زمن الشباب وتبدل وأمل واستهلال نهضة أدبية ثانية في أمريكا.

في وقت احتدم فيه النقاش حول القضايا السياسية أصبح النقد الأدبي نقدا للحياة وكان الشعر الأمريكي يتراءى في فترة بلوغه الثاني الهائج المندفع مستعدا تقريبا أن يخلع عنه جميع صلاته بالماضي وبالتراث. غير أن اخلص شعراء الفئة, روبرت فروست (ولد 1875) كان محافظا وذا تجارب في الوقت ذاته وكان هو وكثير من الرجال والنساء الأصغر منه الذين ساهموا في حيوية الحركة بدون أن يقبلوا براديكاليتها ,على استعداد للبرهنة على أن تراث الشعر الشكلي الأمريكي كان ما يزال يحتفظ بما فيه من حيوية, ان هو جرد مما فيه من تكلف وقيود تقليدية.

الفترة الواقعة بين 1912–1922 فترة بارزة في تاريخ الأدب الأمريكي فيها اتضح جلياً أن هنالك ثورة في الشكل والمحتوى معاً وسرعان ما سمي نتاج أدبائها ب "الجديد"– شعر جديد, قصة جديدة, مسرحية جديدة– وعم الفرح جميع الأوساط, لأنها وجدت في هذا الأدب الجديد تعبيراً صادقاً وناضجاً عن الثقافة الأمريكية.

ومن يستعرض النتاج الشعري في هذه الفترة يقع على علامات فارقة تبرر الآمال التي عقدت عليها ففي 1912 صدرت مجلة "poetry" التي حملت, منذ عددها الأول حتى يومنا هذا لواء حركة التجديد في الشعر الأمريكي. وفي سنة 1913 نشر فاشيل لندسي قصيدته الشهيرة .

"GENERAL WILLIAMS BOOTH" في كتاب على حده"ENTERS INTO HEAVEN"

وفي سنة 1914 صدرت لروبرت فروست مجموعته الثانية "NORTH OF BOSTON" التي أبرزت أكثر من مجموعته الأولى "A BOY'S WILL" الخصائص التي تميز بها في الإيقاع والمواضيع.

**حياته:**

ولد فروست في سان فرنسيسكو 1874 وعندما مات أبوه, وهو في العاشرة عادت به أمه إلى منشأ العائلة في لورنس بماسشويتس,ولضيق الحال, بدأ يرتزق وهو في الثانية عشرة, فعمل اسكافياً وأجيرا في المزارع والمصانع.

نشا فروست في نيوانجلند وان لم يكن فروست ولد فيها. كان أبوه– سياسيا وكان صحافيا من الشماليين المناصرين لقضية الجنوب– قد نزح إلى كاليفورنيا حيث صرف الشاعر السنوات العشر الأولى من حياته ,وحينما عاد إلى موطن أسلافه عاد بغيرة ابن ضال. وبدت الهواية التي لازمته طيلة حياته بشراء مزارع نيوانجلندية رمزا تقريبا لحاجة ملحة لتثبيت جذوره في التربة الجبلية الصلبة من جديد.

وما أن جاءت 1912 حتى كان قد جمع رزمة من القصائد لكنه لم يكن قد تحادث قط مع شاعر آخر .وفجأة باع مزرعته واخذ أسرته إلى انجلتره حيث بعثت فيه الحياة صلته بعزرا باوند.

وكان باوند طيبا معه, لكن فروست سرعان ما اكتشف انه ليست بينه وبين شعراء المدينة أية صلة حقيقية فطلب الحياة القروية من جديد.

**أدب فروست:**

لما كان فروست منبثقا من صميم التراث الوطني, إلى حد لم يكنه شاعر حديث آخر, فانه أصبح بين عشية وضحاها أول أمريكي ينظم الشعر فتشيع قراءته أكثر من قراءة أي شاعر منذ عهد ويتمان, وسرعان ما أخذت تلقى عنه المحاضرات في الجامعات ويقرا في الأقاليم.

لم يفز فروست بالشهرة الواسعة إلا بعد ,1915 حيث بلغ الأربعين من عمره ,فإذا بالجامعات العديدة تغدق عليه الدرجات العلمية الشرفية, وإذا بالجوائز الشعرية تنهال عليه من كل صوب. وفي 1950 نوه مجلس الشيوخ الأمريكي, لأول مره في تاريخه بشعره الذي "شارك في توجيه الفكر

الأمريكي, بحكمة ومرح, واضعا أمام أذهاننا مثالا صادقا عـن أنفسـنا وعـن البشـر أجمعـين". وفي سنة 1960 دعي إلى إلقاء قصيدته الشهيرة THE GIFT في حفل تنصيب الرئيس الأمريكي.

وكان في شعره" إقليميا"– أي انـه اسـتمد مواضـيعه مـن نيوانغلنـد حولـه, وعكـس مـن خـلال تجاربه, روحها وفكرها على أن اقليميته هذه ليست محدودة بل شاملة, وفي ذلك هو شاعر كبير.

وقد كان ممكناً, بالطبع ,أن نقرأ بعض القصائد كمجموعة "باقة زهـر" أو مجموعـة "في إحـراج أشجار الرجاج" على أنها قصائد خلقية رعائية لا قيمة لها سوى قيمة حالة طارئـة عـابرة, لكـن كان ثمة زخم في مثل هذه التعليقات على الأخوة والموت الـتي كـان يـرى فيهـا الواعـون تنويهـاً بقصائد عظيمة ستتلوها. وفي "ترميم الجدار" و "الطريق التي لم تسلك" و"شجرة البتولا" أصبحت إنسانية فروست راسخة تامة. وتنبع بساطة قصائد فروست التي تحجب عن العين ما فيهـا مـن عمق, من إحساسه المرهف بأنغام اللغة. وإذ كان جل حياته شـغوفاً بمطالعـة اللغـتين الإغريقيـة واللاتينيـة, فانـه كـان كلاسـيكياً ومحافظـاً في قراءاتـه, وكـان يصـغي بانتبـاه دقيـق إلى النطـق النيوانجليزي بإيقاعه الهابط ونبراته المخفضـة, وقـد قـال مفسـراً في إحـدى محاضـراته الأولى أن هناك فرقاً بين عبارة "سأخرج القطة خارجا" وعبارة "اخرجـي خارجـاً أيتهـا القطـة" .فجـرس الصوت هو في عرفة بداية الشعر. وكان يستعمل الوزن الايابي لأنه الوزن الطبيعي أكثر من سـواه للغة الإنجليزية.

إن التمثل بالطبيعة وتوسعها للإعراب عن أفكاره ومشاعره, تفسر شعبيته. ذلـك أن الأمـريكيين وقد نزحوا من الريف, لا يزالـون يحنـون إلى ماضـيهم, فهـم يهرعـون إلى أحضـان الطبيعـة كلمـا سنحت لهم الفرصة. وهذه الطبيعة في نظـرهم, لم تعـد ذات معنـى متعـال, بـل أصـبحت تعـني البساطة, والطمأنينة, والجمال, والعجب. وهي فرايا يعتدون عليها, في شعر فروسـت. في قصـائد كـَ "أشجار" و "كومة حطب" و "من أغاني العاصفة". وما إلى ذلـك ممـا يطالعـه القـارئ في هـذه المختارات.

على أن فروست ليس في نزعته هذه نحو الطبيعة صوفياً. فالطبيعـة عنـده تقـع هنـاك– خلـف الجدار. أنها لا تحسب حساباً للإنسان, إلا أن الإنسان يكون نفسه, أكثر ما يكون, حين يقـيس شجاعته وإيمانه باندفاعها وسلطانها.

وما أن جاء عام 1922 حتى ظهرت الدلائل على أن عهد الأدب "الجديد" قد بلغت نهايتها. ففي هذا العام وجد الأدب الطليعي أنفسهم "يسهرون الليل ويختصمون" من جراء قصيدة "الأرض انحراب" لاليوت وروايتي The Enormous Room) لكمنغز, وUlysses لجويس. وقد طرحت على بساط البحث مواضيع عديدة منها "تداعي الوعي" كما عند جويس, واستعمال الأساطير كما عند اليوت.

**مزايا شعره:**

كان فروست في شعره اقليمياً– أي انه استمد مواضيعه من نيوانغلاند حوله, وعكس من خلال تجاربه ,روحها وفكرها. على أن اقليميته هذه ليست محدودة بل شاملة وفي ذلك هو شاعر كبير.

إن التمثيل بالطبيعة وتوسلها للإعراب عن أفكاره وشاعره تفسر شعبيته. ذلك أن الأمريكيين, وقد نزحوا من الريف, لا يزالون يحنون إلى ماضيهم فهم يهرعون إلى أحضان الطبيعة كلما سنحت لهم الفرصة. وهذه الطبيعة في نظرهم, لم تعد ذات معنى سام بل أصبحت تعني البساطة والطمأنينة والجمال والعجب. وهي مزايا يعتدون عليها في شعر فروست. في قصائد ك "أشجار" و "كومة حطب" و "من أغاني العاصفة".

ومن مزايا فروست انه يسير دائماً إلى الأمام, فكل اثر شعري له جديد, هو انطلاقة جديدة, فأولى قصائده في "a boy will" (1913) اقرب في أسلوبها إلى العهد الجورجي. وفي مجموعته الثانية "North of Boston" (1914) نجده يستخدم الأسلوب الحواري الفردي والمشترك.

وفي كتابه "new Hampshire" (1923) اظهر فروست وعياً ذاتياً جديداً. فبدا يتحاور مع قارئه, وفي "West Running Book" (1928) تبتعد الشقة بين الإنسان والطبيعة وتسيطر النزعة الروائية.

لفروست تعريف للشعر مأثور. قال: انه الشيء الذي يضيع في الترجمة.

على الرغم من بساطة شعر فروست الظاهرية فليس من السهل ترجمة قصائده لان اقليميته تتجلى في ألفاظه وعباراته وهي عبارات محكية, حية في اللغة التي يكتب بها.

لقد ضمن قصيدة غنائية صغيرة له بعنوان "ليس الكل هناك" ملخص فلسفته في الحياة: إن الإنسان التفت إلى الله ليحادثه ووجد الله غير موجود, وان الله التفت إلى الإنسان لحادثة ولم يجد "أكثر من النصف." والتفت النصف– إنسان, في احتفائه بيوم ميلاده السبعين, إلى الله من جديد, وبشخص أيوب قذف في وجهه متحدياً "مسرحية العقل". فأجابه الله, بشخص يونان في "مسرحية الرحمة": لا شيء يستطيع أن يجعل الجور عادلاً إلا الرحمة". وفي مثل هذه القصائد يصبح صوت الطبيعة بشرياً ويتحدث بحرية مع الله.

وسأورد بعض النماذج لقصائده الشعرية ليتسنى للقارئ الاطلاع عليها والوقوف عن كثب على خصائص شعر روبرت فروست. وفيما يلي القصائد:

## من أغاني العاصفة

غيوم العاصفة تطير سريعة ممزقة
والطريق موحشة طوال النهار,
حيث ترتفع آلاف الحجارة الثلجية
وتضمحل آثار الحوافز.
أزهار الطريق, وقد تبللت وابتعد النحل عنها,
تنشر أكمامها عبثاً,
تعالي إلى الروابي, معي بعيداً,
وكوني حبيبتي في المطر.
للعصافير مما تقوله لنفسها
في الغابة– العالم التي يمزقها اليأس
اقل مما تقوله الجنيات الآن بعد هذه السنوات المديدة
مع أنها ليست اقل منها هناك:
أغاني الغابة كلها تتفتت بسهولة
كما تتفتت الوردة البرية.
تعالي, كوني حبيبتي في الغابات المبللة,
حيث تمطر الغصون حين تهب الريح.
هنالك العاصفة تحثنا من الوراء
وتخنق صدى أغنيتنا
والمياه الضحضاحة تتطاير مع الريح
فتلملمين منها أطراف ردائك.
ما يهم إن سرنا قدما إلى الغرب
ثم عدنا عبر غاب ممطر؟
فالغصون البرية ستبلل نهديك
والوزال الجديد المطر.

## كومة حطب

فيما أسير ذات نهار على جليد المستنقع
توقفت قائلا: "سأدور من هنا
لا, سأتقدم إلى الأمام– وسنرى"
كان الجليد يثبتني, إلا حيث تنفذ إحدى قدمي
بين لحظة وغيرها: كان المدى خطوطاً مستقيمة
من الأشجار النحيلة العالية
حتى ليصعب, من الشبه بينها, أن تقول
كنت هنا أو هنالك: إنما كنت بعيداً عن البيت.
ها هو عصفور يطير أمامي. كان حريصاً
ان يرفع شجرة, بيني وبينه, عندما حط
وان لا يقول لي من هو,
فيا لحماقة ما فكر به–
ظن أنني ألاحقه من اجل ريشة–
ريشة بيضاء في ذيله, كمن يحسب
إن كل ما يقال يعنيه شخصياً,
وهو لو طار جانبياً لما ظن هكذا.
وكان هناك كومة حطب ألهتني عنه
فتركت خوفة الصغير يمضي به بعيداً
عن الطريق التي كنت, غالباً, سأسلكها
دون أن أحييه, على الأقل, تحية الوداع.
وتوارى وراء الكومة كأنها حصنه الأخير.
كانت حزماً من أخشاب اللوز, مشذ به
في أعداد متساوية,

ولم أشاهد مثلها, هناك,
وليس في الثلج آثار خطوات تقود إليها.
أنها, ولا ريب, أقدم عهداً من هذه السنة
أو السنة الماضية أو حتى التي قبلها.
كان الخشب داكن اللون متجعد القشرة
والكومة غائرة قليلاً, والنبات يلفها كالحزمة.
لكن شجرة, من جانب, ووتدا من جانب آخر
أبقياها حيث هي. قلت في نفسي, ما من احد,
– غير من أخذته أعمال جديدة–
ينسى صنع يديه, الذي أعطى لأجله

**النار والجليد**

هنالك من يقولون سينتهي العالم إلى نار
ومن يقولون إلى جليد.
ومن الشهوة التي ذقتها
أؤيد القائلين بالنار.
وان كان له أن يهلك مرتين,
فلي من معرفتي بالبغض
ما يكفي للقول أن الجليد,
كوسيلة للهلاك, عظيم أيضا
وفيه الكفاية.

## الطريق غير المسلوكة

طريقان تشعبتا قي غابة صفراء
وآسف أنني لا أستطيع السير عليهما معاً
وأظل المسافر الواحد. توقفت طويلاً
وأسلمت نظري لاحداهما
حتى انعطفت بين الأعشاب.
ثم سلكت الثانية, وهي لا تقل جمالا"
ولعلها أكثر جدارة,
لأنها كانت معشوشبة وتحتاج إلى تعبيد
رغم أن المرور هناك
ساوى بينهما في ذلك, حقاً.
ذلك الصباح, ظلت
اوراقهما دون ان يسدها موطيء آخر!
وحيث أنني اعرف كيف تقود طريق إلى ثانية غيرها
فقد شككت في عودتي يوماً.
سأروي هذا بحسرة
في مكان ما, جيلا بعد جيل:
طريقان تشعبتا في غابة– وسلكت أنا
الطريق غير المسلوكة,
ولا فرق غير هذا.

## سقوط الثلج

هكذا دائما, حين سقط الثلج المتجمع
أخيرا في إحدى الليالي
ابيض اللون,مثله في الغابات القاتمة,
وهو يغني, كما لن يفعل طيلة الشتاء,
أغنيته الهامسة على الأرض الحواء.
كدت أتعثر, وأنا أتطلع حوالي
كمن غلبه العياء عند النهاية
فعاف مهمته, وترك الموت يهبط
عليه حيث هو, ولا شيء قط
أصيب به الشر, لا فوز تحقق,
أكثر مما لو لم يعش ابداً.
ومهما يكن من أمر, فان السوابق
تؤيد كلامي: لم يحاول الشتاء المميت
أن يحول دون نقيق الضفادع.
ولسوف أرى الثلج يهبط الرابية
في أيام الربيع جداول صغيرة
تنساب, كالأفاعي, بين تلك الحشائش
والنباتات المائية منذ عام مضى.
ولن يبقى ما يخضبه البياض سوى
عوسجة هنا, وقد كنيسة هناك.

## أشجار البتولا

حين أرى أغصان البتولا تميل يسرة ويمنه
عبر صفوف الأشجار المستقيمة الداكنة,
يطيب لي الظن أن طفلا يحركها.
لكن ما يبقيها مائلة, ليس تحريك الطفل,
بل العواصف–الثلج. أما رايتها مرارا
تنوء بالثلج في صباح شتائي مشرق
بعد هطول المطر. وكلما هبت الريح
تصطفق وتكثر ألوانها, حين
تتشقق قشرتها مع كل اهتزازة.
وسرعان ما تسقط, حرارة الشمس أوراقها البلورية
فتتناثر, ركضا على الجليد,
في أكوام أشبه بالزجاج المكسر
فكأنما تناثرت, من الداخل, قبة السماء.
وحين تلملم في أحمال كبيرة
تخال أنها لا تنكسر, فكأن انحناءها طويلا
إلى الأرض, يحول بينها وبين النهوض:
هكذا تبقى أغصانها المقوسة في الغابات
سنوات عديدة, تجر أوراقها فوق الأرض
كصبايا ركعن ونثرن أمامهن
شعورهن المبللة, في دفء الشمس.
لكنني كنت سأقول, عندما برزت الحقيقة,
بواقعها كله, عن العاصفة–الثلج,
إنني آثرت أن يحركها ولد ما

في رواحة وغدوه وراء بقراته–
ولد ابعد عن المدينة من أن يتعلم
لعبة البيسبول, فيلعب بما يكتشفه بنفسه
صيفا أو شتاءا, ويلهو به وحده,–
كان يروض أشجار والده واحدة فواحدة
إلى أن يلينها, فلا تبقى شجرة
لم تروض.أتقن كل شيء
ينبغي إتقانه عن التمهل
في تسلق الغصون المتطرفة لئلا تنقصف
أو تسقط.كان رفيقاً
بهذه الغصون, رفق
من يملا كوبا, قدر ما يسع

**الخوف من العاصفة**

حين تقاومنا الريح في الظلام

وترجم بالثلوج

الشباك الشرقي الأسفل,

وتهمس بما يشبه النباح الخافت,

يا لها من وحش,

"اخرجوا, اخرجوا!"–

لا نجد صعوبة في أن لا نفعل,

آه, كلا!

ونحصي قوتنا المحاربة:

اثنان وطفل,

ومن ليس نائماً منا يرقب بانكسار

كيف يزحف الصقيع, وتخمد النار,–

وكيف يتراكم الزمهرير,

وتمحي معالم الطريق والساحة,

حتى لتزداد الزريبة في البعد,

وقلبي يخامره الشك

في أننا نقوى على النهوض مع النهار

لإنقاذ أنفسنا دون ما معين.

1.Robert E. spiller, the cycle of AMERICAN literature, Macmillan company, new York, 1993.

2.Holt, R,W, ROBERT frost: selected poems,1975.

3.Helan gardens, Robert frost, 1986.